نشوء الفرق الكلامية في ظل الاسناد السياسي

المدرس المساعد
حيدر عباس كاظم
المديرية العامة لتربية محافظة المثنى
haider14abbas14@gmail.com

The emergence of belief groups in dependence on the political

Assistant Lecturer
HAIDAR ABBAS KAZEM
General Directorate of Education in Al-Muthanna Governorate

الملخص:

حاولنا في بحثنا هذا ان نُبين دور السلطة السياسية في تأسيس العمل النظري ولمقولاته، وهكذا نظرنا الى المسائل الكلامية في مرحلتها الأولى باعتبارها نتيجة مباشرة حينًا، وغير مباشرة حينًا آخرًا، لتلك الشروط السياسية، التي طبعت بطبعها الصدر الأول للإسلام.

وقد تمحور بحثنا بالدرجة الأولى على تناول المرحلة الكلامية العملية السياسية المظهر، منتقين بعض الفرق العقائدية، والكلامية الإسلامية، محاولين تبيان أثر الصراع السياسي، على نشوء النظر العقلي الديني، واقتصرنا في هذا البحث على نشأة الفرق الكلامية، محاولين استعراض أحداث الصدر الأول للإسلام، منذ وفاة النبيﷺ وما تبعه من احداث سيّاسيّة التي شكّلت إرهاصات علم الكلام، فكانت عبارة عن مقولات سياسيّة مختزلة، مركّزة، تعبّر على مواقف أصحابها من الأحداث مشبعة بالعمق العقائديّ، وبالمظهر الديني؛ لكنّها سرعان ما أنتجت مقالات كلاميّة، وإرهاصات تشكّلات سياسيّة عقائديّة، أُلفت عنها لاحقا فرقٌ، ومذاهب، لكلّ منها أدواته العقلية، والنقلية.

الكلمات المفتاحية: الفرق، الكلامية، السلطة، الإمامية، الأشاعرة، المعتزلة.

Abstract:-

In our research, we tried to show the role of the political authority in establishing the theoretical work, and this is how we looked at the verbal issues in their first stage as a direct consequence at one time, and indirect at other times, of those political conditions that imprinted the first source of Islam.

Our research centered primarily on dealing with the verbal stage of the manifesting political process, selecting some Islamic ideological and verbal sects, trying to show the impact of political conflict on the emergence of religious mental consideration, and we confined in this research to the emergence of verbal sects, trying to review the events of the first chest of Islam, since the death of the Prophet(peace be upon him), and the subsequent political events that formed the science of beliefs, as these were short and focused political statements expressing the positions of their owners regarding the events saturated with ideological depth and religious appearance. However, it quickly produced verbal articles and prophecies of ideological political formations that were later reported by groups and doctrines, each with its own mental and transport tools.

Keywords: The difference, kalamiyyah, authority, Imamiyah, Ash'ari, Mu'tazila.

المقدمة:

من الملاحظ ان هناك علاقةٌ قوية بين ما هو ديني وسياسي، فكلاهما يرتبط ويؤثر بالآخر، حتى لو ادعى بعضهم أنه تم التوصل لشيْ استطاع أن يفصل بينهم (العلمانية).

فالفرق الإسلامية التي ظهرت منذ بداية التاريخ الإسلامي، كان من أقوى أسباب ظهورها هي الأحداث السياسية التي ظهرت في نفس الفترة.

ومن الملاحظ ان بني أمية، ولكثرة الثورات التي قامت عليهم، عملوا على الترويج لعقيدة فرقتي الجبر والإرجاء، فالجبرية والمرجئة استعملهم بني أمية لضرب خصومهم السياسيين فكريًا، وعقائديًا، كما يبدو أن للجو السياسي في عصر بني أمية أثره في تيار الجبر، واستغله بعض حكام بني أمية، وكذلك أيضًا تزامن ظهور عقيدة الإرجاء ، مع ظهور القول بالجبر، وحظيت فرقة المرجئة على نفس التشجيع التي حظيت به الجبرية من قبل الأمويين.

ونجد ان فرقة المعتزلة التي لم يعزي سبب نشأتها إلى سببٍ سياسي، فهي ظهرت على غرار اختلاف واصل بن عطاء مع أستاذه الحسن البصري، فأعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، فسماه هو ومن اتبعه بالمعتزلة، فنجد أن هذه الفرقة لم تترعرع، وتزدهر إلا بعد الدعم العباسي لها، وتبني بعض خلفاء بني العباس لها، لأغراض سياسية بحتة ،فالسياسة دائمًا وأبدًا ومنذ القدم لا تزال سببا رئيس لظهور الآراء والفرق الإسلامية.

وسنحاول في بحثنا هذا تسليط الضوء على الاسناد السياسي للفرق الكلامية، وبالتالي تبني اراء هذه الفرق من قبل السلطة الحاكمة، ومن الله التوفيق...

المبحث الأول

المطلب الأول

علم الكلام وتسميته

ان منشأ تسمية هذا العلم بعلم الكلام تعود الى وجوه عدة:

منها ان المتكلمين أرادوا مقابلة الفلاسفة، في تسميتهم فناً من فنون علمهم المنطق، والمنطق والكلام مترادفان؛ ومنها أنه كثر الكلام فيه مع المخالفين، ما لم يكثر في غيره[1].

وقد يكون ناشئ من المحور الذي كان هذا العلم يدور حوله، وهو كلام اللّه، المتمثل في القرآن الكريم ، بل ان السبب في نشوء هذا العلم أصلاً هو الوقوف في وجه التساؤلات التي كان منطلقها الآيات المتشابهة في القرآن الكريم.

فضلاً عن أن أكبر خلاف قام بين المتكلمين، كان يدور حول كلام اللّه، وانه قديم، أو حادث ، فلا غرو إذن، في أن يكون الوجه لتسمية هذا العلم بعلم الكلام، محورية كلام اللّه لكل المناقشات، والمخاصمات، والمجادلات، التي كانت تدور بين أربابه [٢].

ومن هنا نستطيع القول بأن تسمية هذا العلم بعلم الكلام، هو محورية كلام اللّه، أي القرآن الكريم.

أما عن تاريخ ظهور هذا العلم، فيمكننا القول بأن هذا العلم قد خطا خطوته الأولى، في العصر الأول من عصور الاسلام، وهو عصر النبي ﷺ وما تلاه.

وبمرور السنين، والقرون ظهرت الاختلافات في الآراء حول العقيدة الإسلامية، مع الاتّفاق على أن مصدرها هو القرآن و الحديث، و إنما جاء الاختلاف نتيجة أسباب عدة منها:

١- الاختلاف في منهج البحث، والاجتهاد.

٢- انخراط الأحبار والرهبان في صنوف المسلمين، ودسّ قصصهم (الإسرائيليّات) في الروايات.

٣- البدع، والتأويلات الفاسدة.

٤- النزعات القبلية، والأهواء السياسية.

٥- الجهل، وعدم العثور على النصوص.

إذ ظهرت الخلافات الفكرية و العقائدية في عصر صاحب الرسالة ﷺ، ولكن لم تصل إلى حدّ تكوّن المذاهب الكلامية، والمدارس الفكرية، لأن الرسول ﷺ كان يعالجها بنفسه، ولا يسمح لها بالتوسع، وكانت الصداقة تحلّ محلّها، والإخاء، والودّ، والتعاطف، يخيّم على المجتمع الرسالي بشكل لم يوجد له مثيل في التاريخ، إلاّ في فترات قصيرة.

وكمثال على ذلك نشير إلى مسألة (القدر) التي شغلت بال الصحابة، ودار النقاش، والحوار، حولها حتى وصل إلى الجدال، وعندما سمع النبي ﷺ أصواتهم خرج من البيت ونهاهم عن ذلك(٣).

كما روى أحمد في مسنده، قال: (خرج رسول الله ﷺ، ذات يوم والناس يتكلّمون في القدر، قال: وكأنّما تفقّأ في وجهه حبّ الرّمان من الغضب، قال: فقال لهم:(ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم))(٤).

وتعتبر مسألة الخلافة من أهم المسائل الدينية التي وقع فيها اختلاف بين المسلمين، ولم يكن هذا الاختلاف وليد عصور متأخرة ، نحو قرن، أو قرنين، بل أنه نشأ منذ أن التحق نبي الله ﷺ، بالرفيق الأعلى، وبذلك بدأ أعظم خلاف بين الأمة وهو خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية، مثل ما سل على الإمامة، في كل زمان(٥).

المطلب الثاني

اسباب نشأة علم الكلام

ان علم الكلام يستمد اهميته من الغرض الذي وضع لأجله، وهو رد الشبهات، والآراء الشاذة، التي تطرح على العقيدة الاسلامية، و المذهب، وهناك عوامل رئيسة كانت سبباً في ظهور تساؤلات وتكوّن فرق، ومذاهب ونشوئها في المجتمع الإسلامي، منها:

أولاً: القرآن الكريم:

احتوى فيما احتواه، من التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمثل، أذ كان فيه الظاهر، وكان فيه النص، وكان فيه فضلا عن ذلك، ما يسمى بالآيات المتشابهات، والآيات المحكمات، كما نص على ذلك القران الكريم بنفسه، كما في قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾(٦).

والمقصود بالآيات المحكمات، هي التي لا تحتمل إلا وجهاً واحداً من المعنى المراد، والمقصود بالآيات المتشابهات، هي التي تحتمل معنيين، أو أكثر، وتتردد بين هذه المعاني، ويبدو، أن اكثر علماء الإسلام اتفقوا على وجوب إرجاع هذه الآيات المتشابهات، إلى المحكم من الآيات، لتُعَيّن هذه المعنى المراد من تلك، فتعود محكمة(٧).

ثانياً: التعصب للقبلية والاتجاهات الحزبية:

إنّ أعظم خلاف بين الأُمّة، هو خلاف قضية الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام، وفي كلّ الأزمنة على قاعدة دينية، مثل ما سلّ على الإمامة، و كان الشقاق بين المسلمين في تلك المسألة، أوّل شقاق بدأ بينهم وجعلهم فرقاً، أو فرقتين.

فمن جانب نرى علياً عليه السلام، ورجال البيت الهاشمي ركنوا إلى النص، وقالوا: (إنّ الإمامة شأنها شأن النبوة، لا تكون إلاّ بالنصّ، وإنّ هذا النصّ قد صدر عن الرسول صلى الله عليه وآله، في مواطن شتى، آخرها ما حدث في الغدير وهي واقعة مشهورة بين كافّة المسلمين حينما قام نبي الله صلى الله عليه وآله، في حشد عظيم من المسلمين وقال: (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ...)[٨]، ومن جانب اخر، خالف بعض الاصحاب هذا التوجه مما جعل من ذلك الحدث الاول الذي نتج عنه خلاف سبب انشقاق المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[٩].

ثالثاً: سوء الفهم في تحديد الحقائق:

كانت الدعايات الحزبية أوّل عامل لتشكيل الفرق، فهناك عامل ثان لتفرق المسلمين، وتبديدهم إلى فرق متباعدة، وهو سوء الفهم في تحديد العقائد الدينية، وقلة العقل، وخفّته، وقد كان هذا عامل قويّ لتكوّن الخوارج، التي كانت من أخطر الفرق على الإسلام، والمسلمين، وكان الحافز القوي في تكوّن هذه الفرقة هو سوء الفهم واعوجاج السليقة، كما كان لظهور الخوارج أثر بارز في حدوث الفتن، وظهور الحوادث الأُخر في المجتمع الإسلامي.

رابعاً: منع كتابة الحديث الشريف:

إن الحديث الشريف هو في الدرجة الثانية بعد كتاب الله في الاعتبار و الحجية، حتى إنّك لا تجد فيها شيئاً إلاّ وفي القرآن جذوره، أُصوله، ولا إسهاباً إلاّ وفيه مجمله، وعناوينه، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وآله، لا يصدر في قوله إلاّ بإيحاء من اللّه عز وجل، كما في قوله الله تعالى: ﴿ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى وَما يَنطِقُ عَنِ الهَوى إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى﴾[١٠].

فكيف يصحّ للنبي صلى الله عليه وآله، أن يمنع تدوين و مدارسة ومذاكرة الحديث، و كيف ينهى النبي صلى الله عليه وآله، عن الكتابة وهو الذي امر الصحابة بان يكتبوا عنه كل ما يسمعوه منه، فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه قال: قلت: (يا رسول اللّه أكتب كلّ ما أسمع منك؟

قال: (نعم)، قلت: في الرضا والسخط؟ قال: (نعم فإنّه لا ينبغي لي أن أقول في ذلك إلاّ حقاً))[١١].

وكيف ينهى عن الكتابة، والقران الكريم يدعو المسلمين الى كتابة كل ما يتداينوه فيما بينهم، قال سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ...﴾، ثمّ يعود ويؤكد على المؤمنين أن لا يسأموا من الكتابة فقال سبحانه: ﴿وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ...﴾[١٢]، ومن اليقيني ان حفظ دين الله واحكامه وصيانتها عن الضياع بالكتابة اولى واهم من حفظ دراهم يتداينها المؤمن من اخيه.

وقد استمر المنع من الكتابة حتى عهد عمر بن عبد العزيز(٩٩ ـ ١٠١هـ) مع هذا الإصرار المؤكّد منه إلا أنه لم يكتب شيء من الأحاديث النبوية، بعد صدور الأمر منه، إلاّ صحائف غير منظمة ولا مرتبة.

إذا كان هذا هو تاريخ الحديث، وكتابته، وانتشاره، يتبيّن للقارئ بسهولة أنّ حديثاً لم يكتب طوال قرن ونصفه، كيف تكون حاله مع الأعداء الذين كانوا له بالمرصاد، وكانوا يكذبون عليه بما يقدرون، وينشرون ما يشاؤون باسم الدين وباسم النبيﷺ، وما قيمة العقائد التي دونت على أساس تلك الأحاديث[١٣].

خامساً: فسح المجال لأصحاب الديانات الأخرى:

لقد خسر المسلمون من جرّاء حظر تدوين السنة النبوية، ونشرها، خسارة كبيرة، لا يمكن تحديدها بالأرقام، والأعداد، وقد انتشرت الفوضى في العقائد، والأعمال، والأخلاق، والآداب، وصميم الدين، كنتيجة لهذا المنع، لأنّ الفراغ الذي خلفه هذا العمل، أوجد أرضية ملائمة لظهور البدع من اصحاب الديانات الاخرى، الذين افتعلوا أقوال كثيرة ونسبوها إلى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام كما افتعلوا على لسان الرسول ﷺ، الأساطير، يقول الشهرستاني: (وضع كثير من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، أحاديث متعددة في مسائل التجسيم، والتشبيه، وهي كلّها مستمدة من التوراة)[١٤].

ويظهر من المقدسي وجود تلك العقائد في عرب الجاهلية، كما يقول في (البدء والتاريخ

(عند الكلام عن شرائع أهل الجاهلية:(كان فيهم من كلّ ملّة ودين، وكانت الزندقة والتعطيل في قريش والمزدكية والمجوسية في تميم، واليهودية، والنصرانية في غسان، والشرك وعبادة الأوثان في سائرهم)[١٥].

وقد سمحت السلطة بعد رحيل النبي ﷺ، لكعب الأحبار، و زميله وهب بن منبه، وسابقهم تميم الداري، برواية ونشر القصّص الخرافية، في المجتمع الإسلامي، بينما كان الاصحاب ممنوعين عن الكتابة عن النبيﷺ، مما ادى الى ايجاد موجة من الاحاديث، والقصص المنحرفة قابلت من بعد الاحاديث النبوية الصحيحة، وصارت دينا بديلا للدين الاصلي[١٦].

سادساً: اللقاء الحضاري و الاحتكاك الثقافي:

لم تلبث كتب سقراط، وأرسطو، وأبيقور، وجميع أساتذة المدرسة اليونانية، أن تُرجمت إلى اللغة العربية، فصار ذلك سبباً لانتقال الكثير من الآراء عن الرومان، والفرس إلى المجتمع الإسلامي، وانتشارها بينهم، ولا شكّ أنّ بين تلك المعارف ما كان يخالف مبادئ الإسلام وأُسسه[١٧].

ومع ما تقتضيه طبيعة العلوم في كل الأزمنة والأمكنة، من رغبة شديدة بالأفتتان بالجديد، والميل إلى الخوض فيه، كان سبباً إلى نوع من التطرف الفكري أدّى إلى ظهور افكار إعتقادية شاذة، حملت في ثناياها آراء تخالف أصول الإسلام، وقداسة العقيدة؛ ولذا كان ضرورياً، أن يهب بعض مفكري الإسلام وعلمائه، إلى التصدي لهذه المواقف، لكشف زيف تلك الآراء، وتناقضها، وهدمها، متخذين من العقيدة نفسها، سلاحاً، ومن القرآن الكريم مرشدا، متوخين من وراء ذلك حفظ مبادئ الإسلام من أن ينالها يد التشكيك، والتشويه فنشأ ما يسمى بعلم العقيدة أو علم الكلام.

المطلب الثالث

الفرق الكلامية في ظل السلطة

إن التاريخ الإسلامي واجه الكثير من التحديات و الإشكالات التي تمثل تحدي للعقل المسلم على مستوى الفكر والعقيدة، إذ إن علم الكلام يقوم شاهدا على الدور التاريخي الذي قام به المتكلمون للدفاع عن العقيدة في مواجهة مختلف الأفكار و التيارات التي كانت تحوم حول العقيدة، بغية تحريفها وتشويهها؛ و أن علم الكلام الاسلامي كعقيدة وفكر هدفه

الدفاع عن العقيدة الاسلامية بالأدلة العقلية، ويحوي في داخله وجوهاً مختلفة من الصراعات الاجتماعية، التي أسست بعد وفاة الرسول ﷺ، وربّما قبله للتيارات الكلامية المتنوّعة والمتصارعة على مستوى العقيدة ، وقد لعب الصراع السياسي دوراً مهماً في تعدد المذاهب الدينية و الكلامية، بحيث إن معظم الفرق التي ظهرت في الإسلام يرجع أصلها في المقام الأول إلى أسباب سياسية تتصل بالسياسة، والتنازع على الحكم، وذلك من خلال الوقوف و مقابلة النص، و يظهر الدور السياسي بوضوح في ظهور الخوارج، وحدوث الخلاف بين الخط الرسالي الممثل بالإمام علي بن أبى طالب عليه السلام وبين معاوية[١٨]، وبعد مشكلة الخلافة بدأت العلاقة الواضحة بين الخط الديني والخط السياسي، وكانت الفرق عبارة عن تيارات، ولكن هذه التيارات لم تتخذ الشكل السياسي البحت، بل اصطبغت بصبغة دينية، وصار كل حزب سياسي تيار ديني، وصار الذين يقتتلون سياسياً، يقتتلون دينياً، وبدلاً من أن يسمى التيار اسماً سياسياً يدل على المبدأ السياسي الذي يدعو إليه، يسمى اسماً يدل على المذهب الديني، كالخوارج، والمعتزلة، والاشاعرة، وكانوا بدلا من أن يتحاجوا بما ينتج عن أعمالهم من مصالح، ومفاسد تحاجوا بالكفر و الإيمان، والجنة و النار، و بعد هذه الاحداث ظهرت أسئلة إشكالية تتناول الحاكم، و موقعه، و شروط اختياره، و إشكالية مرتكب الكبيرة نظراً للدماء التي سالت بين المسلمين، كما ظهرت اشكالية فلسفية، وهي مدى مسؤولية الانسان عن أفعاله، و هل هو مجبَراً ام مسيّراً، أم انه يملك حريةً في الارادة و الاختيار؛ و هذه الفرق ظهرت بإسناد من السلطة الحاكمة او من الذين يحاولون الوصول للحكم في غفلة متعمدة، او تناسي من قبل الامة لما وجهها به رسول الله ﷺ، فالأمويون هم الذين ثبّتوا فكرة القول بالجبر، و ان اول من قال وتبنى هذا القول هو الجهم بن صفوان، ويقال انه اخذها عن الجعد بن درهم، مولى بني الحكم من أهل الشام، مربي بعض الخلفاء الأمويين، أخذها عن اليهود، بعد اتصاله بهم، ثم أخذها عنه الجهم عندما التقاه في الكوفة، وترسخت هذه الفكرة في أذهان بعض أتباعهم، ثم قام الأمويون باحتضانها، وعملوا على نشرها، وترويجها، وحمايتها، و ذلك لأمور:

الأول: أنها تزيل عنهم أمام الناس وزر ما يفعلونه من موبقات، وما يقومون به من منكرات وجرائم، باعتبار أنهم مجبورون على إتيانها ولا اختيار لهم فيها.

الثاني: إن فكرة الجبر، من أكبر دعاتها، ان لم يكن واضع حجر الأساس لها هو الجعد

بن درهم، المقرب من الأمويين، والمكلف بتربية أولاد الأمويين ممن صاروا خلفاء فيما بعد.

الثالث: إن هذه الفكرة راجت في بلاد الشام مهد الأمويين، أكثر من رواجها في أي بلاد أخرى من بلدان المسلمين، وقد روي عن ابن عباس انه خطب في أهل الشام يوماً، فقال في جملة ما قال: (أتأمرون الناس بالتقوى وبكم ضل المتقون، وتنهون عن المعاصي وبكم ظهر العاصون، هل منكم إلا مفتر على اللّه ليجعل اجرامه عليه سبحانه وينسبه إليه)[١٩].

الرابع: ان القدرية وهم الذين يقابلون المجبرة مقابلة النقيض، ويقولون بأن أفعال العباد مخلوقة لهم، من دون أن يكون للّه أية دخالة في خلقها من قريب أو بعيد، ان القدرية هؤلاء، قد شنوا ممثلين في شخصي مؤسسي فكرتهم (غيلان الدمشقي)، و(معبد الجهني)، حرباً لا هوادة فيها على الأمويين بالخصوص، حتى أن معبداً المذكور، قد اشترك مع (عبد الرحمن بن الأشعث)، عندما ثار على الأمويين، فقتله الحجّاج [٢٠].

المبحث الثاني

اهم الفرق الكلامية

المطلب الأول

المعتزلة في ظل السلطة

ظهرت هذه الفرقة في أواخر الخلافة الراشدة مع بداية زمن الأمويين؛ حيث تطورت ونضجت جل مقولاتهم الكلامية، و مع بداية العصر العباسي شهدت ذروة القوة والهيمنة (١٩٣-٢٢٧ هـ) حتى زمن المتوكل، إذ دخلوا مع العباسيين عندما قالوا لهم بانهم سيأتون بواصل بن عطاء الى الحكم[٢١].

واشتهر المعتزلة بأصولهم العقدية المعروفة، وهي: التوحيد، و العدل الإلهي، و الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويبدو لنا تأثير السياسة واضحاً حين نتفحّص تسمية المعتزلة بهذا الاسم، فقد دخلت

هذه التسمية كمصطلح سياسي و فكري حين أُطلقَت على مجموعة من الصحابة الّذين اتّخذوا موقف الحياد من موقعة الجمل، كما انهم اتّخذوا موقف اخر من حرب صفّين بين الامام علي عليه السلام و معاوية، فقيل يومها عنهم انهم قد اعتزلوا عليا عليه السلام، ورفضوا محاربته ومحاربة خصومه معًا، وفيما بعد أُطلقَت هذه التسمية على فئة أخرى من جماعة الامام الحسن عليه السلام والتي اعتزلت عن الامام عليه السلام وعن معاوية حين عقد الاثنان صلحًا، فهل من صلة (سياسية بالدرجة الأولى) بين هؤلاء المعتزلة وأولئك الّذين يرتبطون بإعتزال واصل بن عطاء (ت٧٤٨هـ) حلقةَ الحسن البصري؟

تكمن الاجابة عن ذلك في الخلاف النظري الّذي حصل بين واصل و استاذه البصري، و هو خلافٌ يرتبط بإشكالية مرتكب الكبيرة، ففي حين رأى البصري ان مرتكب الكبيرة ((منافق)) ليس مكتمل الإيمان عليه ما على غير المؤمن من الجزاء في الآخرة، رأى واصل انه ((فاسق)) اي مؤمن من حيث الاعتقاد، ولكنه عصى أحكام الشريعة من حيث العمل بارتكابه الكبيرة، وهذا معنى تسمية ((منزلة بين منزلتين))، اي ان مرتكب الكبيرة هو في مرتبة وسط بين المؤمن و الكافر، وليس بهذه الحالة مؤمنًا أو كافرًا.

وفي مسألة الايمان، يذهب المعتزلة الى أن الإيمان الشرعي المعتبر مركب من ثلاثة أجزاء: اعتقاد بالقلب، و تصديق باللسان، و عمل بالجوارح ، وبهذا قد عولوا على العمل كثيرا، والعمل عندهم له شأن، لأنه لا قيمة للتكاليف إذا لم يقم بها من كلفوا بأدائها، و لهذا جعلوا الإيمان قولا و معرفة و عملا، فالقول لا بد منه حتى يكون كالبيان و الإظهار لما في القلب، و لا يمكن أن نميز المؤمن عن غيره إلا بالنطق باللسان و لا يقل العمل عندهم في تحقيق الإيمان عن الركنين الآخرين، وهذا الأمر موضع اتفاق بين المعتزلة و الخوارج؛ وهكذا أصبح المعتزلة في منزلة وسط بين رأيي كل من المرجئة و الخوارج، هذا الحل النظري الوسطي يبدو الى حد كبير امتدادًا للموقف السياسي للمعتزلي الأول في معركتي الجمل وصفّين، وجواب واصل بن عطاء جاء في سياق الكلام على الخوارج والمرجئة، ومن المعلوم أن هاتين الحركتين كانتا تعبيرًا عن الموقف السياسي تجاه معركة محتدمة على ارض الواقع.

واذا انتقلنا الى مسألة أخرى متصلة بمسألة مرتكب الكبيرة، اي مسألة مسؤولية الانسان عن أعماله وأفعاله (الجبرية و الاختيارية)، نجد أن المعتزلة وفي كلامهم عن العدل الإلهي،

اعتبروا ان الانسان يتحمّل المسؤولية عن أفعاله خيرها وشرّها.

وفي مسألة الامامة يذهب المعتزلة ان أصول اختيار الإمام لا تكون ألا بالاختيار، والبيعة، ورفضوا النص و الوصية مخالفين بذلك الإمامية، وخالفوا المرجئة ايضا الذين أجازوا إمامة المتغلب على السلطة والمغتصب للإمامة(٢٢).

وهم يرون أن أسلوب الاختيار يختلف باختلاف وتطور الأزمنة ، وتغيرها ووضعوا للاجتهاد دورا كبيرا في هذا المقام، أي أن اختيار الأمام متروك لفعل الانسان وما تقتضيه مصالح الناس ، وبالتالي فان المعتزلة اعتبروا أن اختيار الامام هو من باب الحرية للناس التي لا يجوز التجاوز عليها.

وتماشيا مع الطابع السياسي لمنصب الإمام، رأى المعتزلة جواز الخروج على الحاكم وعزلة إذا أخل بشرط من شروط المطلوب توافرها فيه، لان منصب الإمامة يستند إلى رضا المحكومين، وانه يعتبر خادما لهم منفذا لحدود الله وشرعه، وانه حتى بعد بيعته يظل استناده بجماعة المسلمين لا الى قوة غيبية ولا الى قوة عصبية أو قبلية أو أسرية فالإمام يستشير جماعته فيما يفعل ليعرف الصواب من الخطاء؛ وهذا يعزز من فكرة أن المعتزلة يرفضون مبدأ العصمة، لا بل يرون بأن الإمام الذي تنطبق عليه هذه الشروط، ويتصف بالصفات الحسنة ، و الأخلاق الكريمة الفاضلة، إنما هو إمام صالح تجب طاعته و تنفيذ أوامره، ولم يجز المعتزلة الخروج على الحاكم إلا إذا خالف شرع الله و حكم بما لم ينزل به الله سلطان، أو خالف سنة رسول الله ﷺ(٢٣).

المطلب الثاني

الاشاعرة في ظل السلطة

مؤسس فرقة الأشاعرة، هو علي بن إسماعيل بن إسحاق الذي يكنى بأبي الحسن، ويلقب بالأشعري وكانت ولادته سنة ٢٦٠ هجرية، وقد نما الأشعري وترعرع في أروقة مدرسة الاعتزال، وتحت ظلال آرائهم الفكرية، إذ لازم الجبائي طيلة أربعين سنة صار بعدها شيخاً ناضجاً من شيوخهم، يجادل و يناظر مخالفيهم، من خلال آرائه كمعتزلي تلك الآراء التي استظهرها درساً، وبحثاً، ثم انفصل عن أستاذه بعد كل هذه الأعوام التي قضاها الأشعري في كنف أستاذه أبي علي الجبائي، تحت راية الاعتزال ، وسبب هذا

الانشقاق، كما قد ذكر مؤرخو الفرق أسباباً عديدة لانفصال الأشعري عن أستاذه الجبائي لا تعدو في جوهرها عن أن تكون اختلافات فكرية في بعض المسائل الاعتقادية، ومن أهم المسائل التي وقع الخلاف فيها بين الأشعري وأستاذه الجبائي التي على أثرها وقعت الفرقة، مسألة حكم العقل، بأن اللّه سبحانه، يجب عليه ألا يفعل إلا الأصلح، وهي ما يعبر عنها ((بوجوب فعل الأصلح على اللّه)) إذ كان الجبائي كمعتزلي يلتزم به، وقد جرت مناظرة بينهم حول هذه المسألة، قال الأشعري لأستاذه: ما قولك في ثلاثة: مؤمن و كافر و صبي؟.

قال الجبائي: المؤمن من أهل الدرجات، و الكافر من أهل الدركات و الصبي من أهل النجاة.

قال الأشعري: فإن أراد الصبي أن يرقى إلى أهل الدرجات هل يمكن؟.

قال الجبائي: لا، لأنه يقال له: إن المؤمن إنما نال هذه الدرجة بالطاعة و ليس لك مثلها.

قال الأشعري: فإن قال: التقصير ليس مني فلو أحييتني كنت عملت الطاعات كعمل المؤمن.

قال الجبائي: يقول له اللّه: اعلم أنك لو كنت بقيت لعصيت و لعوقبت، فراعيت مصلحتك وأمتّك قبل أن تنتهي إلى سن التكليف.

قال الأشعري: فلو قال الكافر يا رب علمت حاله كما علمت حالي فهلا راعيت مصلحتي مثله؟.

وهنالك أمر آخر، خارج عن دائرة خلافاته مع أستاذه، وهو أنه رأى النبي ﷺ في نومه، إذ أمره بالرجوع إلى الكتاب و السنة.

ثم أعلن الأشعري انفصاله:

أن الأشعري بعد أن جرت المناظرة التي ذكرناها بينه و بين أستاذه الجبائي، انزوى عن الناس مدة خمسة عشر يوماً ثم خرج إلى المسجد، وصعد المنبر و قال: (معاشر الناس، إنما تغيبت عنكم هذه المدة، لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجّح عندي شيء على شيء، فاستهديت اللّه تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه وانخلعت من جميع

ما كنت اعتقد كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ، ورمى به ، ودفع الكتب التي ألّفها).

وفي رواية أخرى: (أنه دعا الناس إلى الإجتماع في مسجد البصرة، و بعد الصلاة وقف خطيباً ثم قال: (أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي: أنا علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، كنت أقول بخلق القرآن، وان اللّه تعالى لا يُرى بالأبصار، وإن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع عما كنت أقول، ومتصدر للرد على المعتزلة، ومخرج لفضائحهم...))[٢٤].

آراء الأشاعرة ودور السلطة:

يقول الأشاعرة في مقام بيان معتقداتهم: قولنا الذي به نقول، وديننا الذي به ندين، التمسك بكتاب اللّه، وسنة رسوله ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، ولما كان عليه (أحمد بن حنبل) متبعون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، و الرئيس الكامل، الذي أبان اللّه به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكّين ، وان اللّه استوى على عرشه، وان له وجهاً، وان له يدين، وان له عيناً، وان للّه علماً، ونثبت له السمع والبصر، ونقول أن كلام اللّه غير مخلوق، وان أعمال العباد مخلوقة اللّه مقدورة له، وان اللّه وفق المؤمنين لطاعته ولأنه هداهم كانوا مهتدين، ونؤمن بقضاء اللّه وقدره خيره وشره، ونؤمن بأن اللّه يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يُرى القمر ليلة البدر[٢٥].

وللسلطة الدور الاكبر في نشر افكار هذا المذهب في عهد القادر العباسي، إذ تدخل رسمياً لأنهاء هذه النزاعات القائمة، ووضع حداً لها بعد ان جمع المحدثين و أنصارهم من الاشاعرة، فوضعوا كتاباً أسموه (الاعتقاد القادري) يتضمن ما يجب على المسلم الاعتقاد به من اصول الدين، كالتوحيد، و الصفات، و خلق القرآن، و غير ذلك من المسائل التي كانت محلاً للخلاف بين الطرفين ، ثم وقعه الفقهاء بخطوطهم، وتعهدت الدولة بنشره بين المسلمين، وحذرت المخالفين بالعقوبات الصارمة ، و أصدر القادر أوامره بعدم الخوض في المباحث الكلامية، و تدريسها، و المناظرات على مذهب الاعتزال، و بذلك تم القضاء على الاعتزال كمذهب له انصار و أتباع، و أصبحت السيادة المطلقة لمذهب المحدثين و الاشاعرة

في العقائد ، بتأثير السلطة الحاكمة ، و كان لهذا الانحياز أثر بالغ في انتشار مذهب الاشاعرة، و الركود الذي حدث لمذهب المعتزلة، و لولا ذلك لما استطاع الاشاعرة و أتباعهم الوقوف في طريق المعتزلة، وتحجيم نشاطهم(٢٦).

المبحث الثالث

المطلب الأول

الفرق الكلامية والإمامية

الإمامية ممثلين في أئمتهم عليهم السلام كانت لهم مواقف حاسمة، في جميع المسائل الاعتقادية، التي أثيرت في عصورهم المختلفة، فقد كانوا لا يألون جهداً في الوقوف في وجه البدع ، التي يستشمون منها خطراً على العقيدة والدين، وهم مع هذا، كانت لهم مدرستهم الخاصة بهم، والتي تخرج منها المئات من علماء الامة في مختلف فروع العلم، بما فيها علم العقيدة، وقد كانت لتلك المدرسة آراؤها الفكرية والاعتقادية، التي تتميز عن آراء وأفكار أية فرقة من الفرق الكلامية التي مر ذكرها، وأن هذه المدرسة كانت نسيج وحدها من حيث الأصالة، و الجرأة و العمق، أمام الآراء الشاذة لتلك الفرق المنافية لروح الإيمان و أصول الإسلام و من هذه الآراء والمواقف:

١ـ موقف الامامية من المشبهة:

لقد نزّه الامامية، ذات اللّه سبحانه، وصفاته عن كل ما يشعر بالتجسيم والتشبيه، ومن هنا نراهم قد شنوا حرباً على أولئك المشبهة، الذين تمسكوا بظاهر بعض الآيات المتشابهة، فجعلوا للّه عينين، وأذنين، ويدين، وإرادة حادثة وغير ذلك، من الآراء التي تستلزم الجسمية والتحيز، ولعل قول الإمام علي عليه السلام، يوضح موقف الإمامية من هؤلاء واضرابهم: (كذب العادلون بك، إذ شبّهوك بأصنامهم، ونحلوك نحلة المخلوقين بأوهامهم، وجزؤك تجزئة المجسمات بخواطرهم، وأشهد أن من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك والعادل بك كافر بما نزلت به محكمات آياتك، ونطقت به شواهد حجج بيناتك...)(٢٧)، وقد بلغ موقف الأئمة عليهم السلام من هؤلاء المجسمة حداً، رأينا معه الإمام الصادق عليه السلام يأمر بمنع شخص من الدخول عليه، لأنه أخبر بأنه ممن يقول بالتجسيم.

٢ـ موقف الامامية من المفوضة والمجبرة:

وكان موقف الامامية من كلا الفريقين المفوضة و المجبرة، واضحاً لا لبس فيه و لا غموض، إذ انهم أعلنوا براءتهم منهما، ومما يقولون قولاً وعملاً، أما بالقول فقد اسهبت كتبهم بالروايات عن أئمتهم عليهم السلام الذّامة لكلا الفريقين، منها: ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: (القائل بالجبر كافر، و القائل بالتفويض مشرك)[٢٨].

وأما بالعمل، فقد حل الإمامية هذه المشكلة العويصة، بالتزامهم تبعاً لأئمتهم عليهم السلام، بأنه لا جبر ولا تفويض، و إنما أمر بين أمرين.

٣ـ موقف الامامية من المرجئة و الخوارج:

وقد خالف الإمامية الخوارج، فيما أجمعوا عليه من تكفير مرتكب الكبيرة، فحكموا بإيمانه، كما خالفوا المرجئة، إذ لم يتوقفوا في الحكم على مرتكب الكبيرة، فحكموا عليه باستحقاق العقاب، وخالفوا بعض فرقهم في ما به يحصل الإيمان، إذ ادعت تلك الفرق بأنه يكفي في الإيمان، مجرد القول باللسان، من دون أن يكون للتصديق بالقلب أية دخالة في تحققه مطلقاً، فقال أكثر الامامية، بأن الإيمان هو التصديق بالقلب و القول باللسان.

٤ـ موقف الامامية من المعتزلة:

يحلو لبعض الكتّاب المحدثين، مقلدين لبعض مؤرخي الفرق الكلامية، أن يجعلوا الامامية في آرائهم و أفكارهم، عالة على مدرسة الاعتزال ، وذلك غير واقعي إذا استعرضنا جانباً من آراء الإمامية في بعض أصول المعتزلة:

أ - رأي الامامية في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر:

ذهب الامامية إلى القول بوجوبهما كفائياً، بالشرع لا بالعقل، وذلك بما ورد في الأمر بهما من الآيات والروايات.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾[٢٩].

ومن الروايات ما روي عن الامام الصادق عليه السلام قوله:(ويل لقوم لا يدينون اللّه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٣٠]، في حين ذهبَ المعتزلة إلى وجوبهما بالعقل لا بالشرع.

وقد فنّد الامامية رأي المعتزلة، في منشأ وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، يقول العلامة الحلي (انهما لو وجبا عقلاً لوجبا على اللّه تعالى، فإن كل واجب عقلي يجب على كل من حصل في حقه وجه الوجوب، ولو وجبا عليه تعالى لكان إما فاعلاً لهما، فكان يلزم وقوع المعروف قطعاً، لأنه تعالى يحمل المكلفين عليه، وانتفاء المنكر قطعاً لأنه تعالى يمنع المكلفين عنه، وهذا خلاف ما هو الواقع في الخارج، وإما غير فاعل لهما فيكون مخلاً بالواجب وذلك محال لما ثبت من حكمته تعالى)[٣١].

ب- التوحيد بين الامامية والمعتزلة.

وإن كان الإمامية يلتقون في أصل القول بالتوحيد مع المعتزلة، إلا أنهم يفترقون عنهم في أمور التزم بها المعتزلة، و أنكرها الامامية، لأنهم رأوها منافية للتوحيد، منها مثلاً ان المعتزلة التزموا بأن الأشياء كانت قبل وجودها أشياء ، و الجواهر و الاعراض كانت في حال عدمها جواهر و اعراضاً.

فما هي وظيفة اللّه عندهم إذن؟، وظيفته عندهم، أنه قد جعل لها صفة الوجود ليس إلا.

وقد جاء الامامية إلى هذه المقولة، ليثبتوا بأن الالتزام بها مناف للتوحيد، و مستلزم للإلحاد، فقالوا: بأننا إذا التزمنا بأن هذه الاعراض و الجواهر و الأشياء، لها نوع من التحصل والتحقق، بقطع النظر عنه سبحانه، و ان كل ما صدر عنه هو جعل صفة الوجود لها، فنحن نقول و توافقونا على أن تلك الصفة المجعولة لا تخلو عن أن تكون اما جوهراً، أو عرضاً، أو شيئاً، ولا رابع لها.

فإن قلتم بأن هذه الصفة جوهر أو عرض، بطل ما التزمتم به من أن الجوهر و العرض كان لهما تحقق بقطع النظر عنه سبحانه.

وكذا إذا قلتم بأن هذه الصفة ليست جوهراً و لا عرضاً، و إنما هي شيء ، فقد بطل ما التزمتم به من أن الأشياء كان لها تحقق بقطع النظر عنه سبحانه.

وإن قلتم بأن هذه الصفة ليست بشيء، فقد التزمتم بأن اللّه لم يفعل شيئاً، و هذا هو عين العجز، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ج- المنزلة بين المنزلتين بين الامامية والمعتزلة:

لقد تقدم ان المعتزلة قد حكموا على مرتكب الكبيرة بأنه في منزلة وسط بين الكفر و الإيمان، في حين ذهب الامامية إلى الحكم بفسقه فقط مع بقاء صفة الإيمان له ، كما حكم المعتزلة بخلوده في نار جهنم ، في حين ذهب الامامية إلى عدم ذلك ، بل قالوا بأنه يعاقب بمقدار جرمه واستدلوا لذلك بوجهين[٣٢]:

الأول: إنه يستحق الثواب الدائم بإيمانه لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[٣٣]، والإيمان أعظم أفعال الخير، فإذا استحق العقاب بالمعصية، فإما أن يقدم الثواب على العقاب، وهو باطل بالإجماع، لأن الثواب المستحق بالإيمان دائم على ما تقدم أو بالعكس وهو المراد، والجمع محال.

الثاني: يلزم أن يكون من عبد اللّه تعالى مدة عمره بأنواع القربات إليه، ثم عصى في آخر عمره معصية واحدة مع بقاء إيمانه، مخلداً في النار، كمن أشرك باللّه تعالى مدة عمره وذلك محال لقبحه عند العقلاء[٣٤].

المبحث الثالث

المطلب الثاني

السلطة ومحنة خلق القران

في ايام الامام الهادي عليه السلام كانت هناك نزاعات فكرية حادة ، منها النزاع المشهور حول خلق القرآن ، ومعرفة اهمية هذه المسألة لا نتوصل إليها إلاّ عندما نقارنها بمسألة حديثة، كالأحداث التي يمر بها العراق حاليا فلو سُئل، شخص بعد ألف او الفين سنة من الآن رجلا آخر، ماذا حدث في العراق بين ٢٠٠٣-٢٠١٩؟ فسوف يكون جوابه: الاحداث نشأت من انهم اختلفوا وبعضهم قتل بعضاً وانتهى الامر.

لكننا اليوم ونحن نعيش تلك الازمة، فأننا نعرف ضخامة تلك الاحداث وما هي اهميتها وارتباطاتها وعواملها، كذلك قصة خلق القرآن، فأنها الان تذكر كقصة عابرة، لكن في وقتها كانت قصة اساسية و مثلما توجد الآن في العالم الاسلامي تيارات شرقية وغربية،

واسلامية مختلفة، كذلك في العهد الاسلامي السابق، كانت تتقاسم الامة الاسلامية حركتان فكريتان هما حركة الاعتزال، وحركة الاشاعرة.

وهاتان الحركتان لم تكونا فقط مجرد حركتين فكريتين في المدارس، بل كان لكل واحد مهما اتباعها بين جماهير المسلمين، وكانت كثيرا ما تقع بين اتباع الحركتين اختلافات دموية، وكانت السلطات تحييها وتزيد من حدتها من أجل تحقيق مصالحها اللا مشروعة.

كانت السلطة العباسية تدعو الى حركة الاشعرية والى الاشاعرة، وكان جلاوزتها يأخذون كل معتزلي ويتهمونه بالزندقة و يقتلونه، ولما جاء المأمون العباسي إلى الحكم فانه اتجه الى الاعتزال، وكان الاعتزال حركة الطبقة الواعية في ذلك اليوم و قد ظلت السلطة في عهد المأمون العباسي، والمعتصم العباسي والواثق العباسي تؤيد الاعتزال، ولما جاء المتوكل صار مع الاشاعرة فاحضر رجلا فسأله: ما قولك في خلق القرآن.

فأجاب: يا امير المؤمنين، اني ارى ان الله سبحانه وتعالى كان ولم يكن معه شيء، ثم بعد ذلك اوحى بالقرآن.

فقال المتوكل: أأنت تقول بخلق القرآن؟.

فقال الرجل: هكذا اعتقد، فأمر المتوكل بضرب عنقه.

اننا نؤمن بأن الله سبحانه و تعالى اوحى بالقرآن ، فإذا القرآن مخلوق أي ان القرآن لم يكن مع الله منذ الازل، وايضا خلق فيما بعد كان الله اولا ولم يكن معه شيء ، ثم اوحى بالقرآن، وهذا شيء واضح، إلاّ ان الاشاعرة قالوا ان القرآن قديم مثل الله.

وكان رجل يدعى (احمد بن نصر) كان قد دبّر عملية ما ضد الواثق، إلاّ انها لم يكتب لها النجاح، فاستدعاه الواثق العباسي، وقال له: يا احمد ما تقول في القرآن.

قال: كلام الله، قال: المخلوق هو؟.

قال: هو كلام الله، قال: فما تقول في ربك اتراه يوم القيامة؟.

قال: يا امير المؤمنين جاءت الآثار عن نبي الله ﷺ، انه قال: (ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته) فنحن على الخبر.

فقال الواثق لمن حوله: ما تقولون فيه ؟، فقال القاضي (عبد الرحمن بن اسعاف)، هو حلال الدم وقال غيره: اسقني دمه يا امير المؤمنين ، و وافقه الحاضرون في البلاط، الا (ابن داود قاضي القضاة) قال: يا امير المؤمنين كافر يستتاب لعل به عاهة او تغير عقل.

فقال الواثق: اذا رأيتموني قد قمت اليه، فلا يقومن احد معي فاني أحتسب خطاي إليه، ودعا بـ(الصمصامة) وهو سيف (عمر بن معد يكرب الزبيدي)، ذلك الفارس الذي ذاع صيت سيفه، وكان قد اهدي الى احد الخلفاء العباسيين و ورثه من بعده، فضربه على عنقه، و حمل الى بغداد و صلب في الجانب الغربي اياماً و في الشرقي اخرى، و وضع في اذنه رقعة كتب فيها: (هذا رأس الكافر المشرك الضال احمد بن نصر بن مالك، ممن قتله الله تعالى على يد عبد الله بن مروان الامام الواثق بالله أمير المؤمنين، بعد ان اقام عليه الحجة في خلق القرآن ونفي التشبيه وعرض عليه التوبة، ومكنه من الرجوع الى الحق فأبى الا المعاندة والتصريح، والحمد لله الذي عجل به الى ناره واليم عقابه)[٣٥].

لطالما طارت رؤوس علماء كانوا من ذوي المكانة الحسنة في المجتمع ، بسبب امثال هذه الآراء، بينما كانت الاخطار تتهدد الامة الاسلامية من كل جانب.

وهذه الخلافات التي تدخل الامة في متاهات فكرية لا طائل من ورائها سوى تضييع جهود الامة ، وقد كان خلاف خلق القرآن، او عدم خلق القرآن، هو من أمثال تلك الخلافات التي تمنع الامة من التوجه نحو انجاز المشاريع.

وهنا يأتي دور الائمة المعصومين عليهم السلام ، كما جاء الانبياء من قبلهم لفض خلافات الناس وتوجيههم الى الطريق القويم، الذي يتمثل باتباع القرآن الكريم الذي انزله الله سبحانه دستوراً للحياة.

إن المجتمع كثيرا ما يفقد المقاييس الثقافية الصحيحة، ويستبدلها بمقاييس خاطئة، وابرز مكان لحدوث ذلك هو عادات وسلوك المجتمع، فما ان ترى الرذيلة والفساد قد بدأت بالانتشار في المجتمع، فاعرف بان قيماً ومقاييساً فاسدة ومعايير خاطئة هي التي تعلق بها المجتمع، اما اذا رأيت ان حالة التوجه الى الخير و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر والاقبال على الالتزام بالتعاليم الدينية، قد انتشرت بين الناس، فذلك دليل على اتباع المجتمع للقيم والمعايير الصحيحة[٣٦].

الخاتمة:ـ

حاولنا في هذا البحث بيان نشوء الفرق الكلامية في ظل الاسناد السياسي، ومن خلال هذا البحث تبين لنا الآتي:

١- أن سبب تسمية هذا العلم بعلم الكلام، هو محورية كلام اللّه عز وجل.

٢- ان اكثر هذه التساؤلات التي سببت ظهور هذا العلم كانت مطروحة في زمن الرسولﷺ، لكن بصورة مبسطة.

٣- ان السبب الرئيسي لتطور هذه التساؤلات هو اختلاط العرب مع الثقافات الاخرى، ادى لظهور اسئلة اكثر تعقيدا.

٤- للسلطة الحاكمة دور محوري في تكوين هذه الفرق، وتبنيها بل والوقوف الحازم ضد معارضيها.

٥- ان كبريات الفرق مثل المعتزلة والاشاعرة حظيت بتأييد السلطة، وكان لهذا التأييد وقع كبير في انهاء الصراعات بعيدا عن علم الكلام.

٦- للخط الرسالي دور فعال في مواجهة هذه الفرق، ومقابلة الآراء المنحرفة من خلال طرح الرأي بالدليل سواء كان عقلي او نقلي.

٧- ان مسألة خلق القران وعلى امتداد طرحها سببت الكثير من إراقة الدماء بين المسلمين، فاذا كان صاحب السلطة متبني لرأي المعتزلة يثبت رأيهم بحد السيف، وفي حال تبني الخليفة رأي الاشاعرة يفرض آرائهم بنفس الطريقة.

ومن الملاحظ ان المسلمين وعلى مر العصور والى وقتنا الحاضر قد تعرضوا الى أشد أنواع الفتن، التي سببت تراجع العالم الإسلامي بسبب انشغالهم بأمور أدت الى الحد من تطورهم على الصعيد النظري، والعملي، وما هو إلا نتيجة تخلى هذا المجتمع عن الخط الرسالي الذي وصفه رسول الله ﷺ بسفينة نوح وإن من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، فأختار بعضهم النجاة واختار أخرون التخلف. والحمد لله رب العالمين...

هوامش البحث

(١) المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، بيروت- لبنان، دار الجيل ، الأولى،(١٤١٧هـ- ١٩٩٧ م):٤٦/١.

(٢) - دراسات في العقيدة الاسلامية: محمد جعفر شمس الدين، بيروت- لبنان، دار التعارف، الرابعة، (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م):١٦/١.

(٣) - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد حكمي ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الدمام- السعودية، دار ابن القيم، الأولى،(١٤١٠ هـ- ١٩٩٠م):٩٥٩/٣.

(٤) - المسند: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الثانية،(١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م):(٦٦٦٨)، ٢٥٠/١١.

(٥) - الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت- لبنان، دار المعرفة،(١٤٠٤هـ-١٩٨٤م):١/ ٢٤.

(٦) - سورة آل عمران: ٨.

(٧) - الميزان في تفسير القران: محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٢هـ)، تحقيق: حسين الاعلمي ،بيروت - لبنان. منشورات مؤسسة الاعلمي، الاولى،(١٤١٧هـ - ١٩٩٧م): ٣١/٣.

(٨) - موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب و السنة و التاريخ: محمد الريشهري ، قم- ايران، مركز بحوث دار الحديث، الثانية،(١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م): ٣٢٧/٣.

(٩) - يُنظر: حوارات في الدين والعقيدة: جعفر مرتضى العاملي، بيروت ـ لبنان، المركز الإسلامي للدراسات، الأولى ، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م):٣٥/١.

(١٠) - سورة النجم:٢-٤.

(١١) - مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ميرزا حسين الطبرسي النوري (١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الاولى،(١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م):٢٢٣/١٧.

(١٢) - سورة البقرة:٢٨٢.

(١٣)- يُنظر: نهاية الدراية في شرح الرسالة الموسومة بالوجيزة للبهائي: حسن الصدر(١٣٥٤ه)، تحقيق: ماجد الغرباوي،ايران-قم،اعتماد:٢١/١.

(١٤)- الملل والنحل:١١٧/١.

(١٥) - البدء والتاريخ: المطهر بن طاهر المقدسي (٥٠٧هـ)، القاهرة - مصر، مكتبة الثقافة الدينية: ٣١/٤.

(١٦)- يُنظر: معالم المدرستين: مرتضى العسكري، بيروت - لبنان، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر،(١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م)، ٢٩٢/١.

(١٧) - يُنظر: تاريخ الفلسفة في الإسلام: دي بور، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريده ،بيروت - لبنان، النهضة، ٢٠/١.

(١٨) - يُنظر: أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم: جعفر السبحاني، قم - ايران، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، الاولى،(١٤٢١هـ -٢٠٠١م): ٢٦/١.

(١٩) - نشوء المذاهب والفرق الكلامية: حسن الشاكري، قم- ايران ،ستارة، الاولى،(١٤١٨هـ-١٩٩٨م): ١٠٠/١.

(٢٠) - دراسات في علم الكلام:٣٥/١.

(٢١) - التاريخ الاسلامي دروس وعبر: محمد تقي المدرسي، قم - ايران، دار نشر المدرسي ،الخامسة، (١٤١٨هـ- ١٩٩٧ م):١٣٦/١.

(٢٢) - يُنظر: نشوء المذاهب والفرق الكلامية: ٨٥/١.

(٢٣) - يُنظر: أوائل المقالات في المذاهب المختارات: محمد بن محمد بن النعمان المفيد (٤١٣هـ) ، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، بيروت - لبنان، دار المفيد، الثانية،(١٤١٣هـ- ١٩٩٣م):٣٨/١.

(٢٤)- يُنظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي شمس الدين (ت ١١٨٨هـ)، دمشق- سوريا، مؤسسة الخافقين ، الثانية، (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م):٣٣١/١.

(٢٥) - يُنظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (٧٢٦هـ) ، تحقيق: حسن زادة الأملي، قم - ايران، مؤسسة النشر الاسلامي، السابعة،(١٤١٧هـ-١٩٩٨م): ٣٢٥/١.ويُنظر: العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)،تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، الرياض- السعودية، مكتبة أضواء السلف، الاولى(١٤١٦هـ - ١٩٩٥م):٢٢١/١.

(٢٦)- دراسات في العقيدة الاسلامية:٥٢/١.

(٢٧) - الكليني والكافي: عبد الرسول عبد الحسن الغفار، قم- ايران ،مؤسسة النشر الاسلامي ،الاولى ،(١٤١٦ هـ-١٩٩٦م):٣٣٣/١.

(٢٨) - الفصول المهمة في أصول الائمة: محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: محمد بن محمد الحسين القائيني، قم- ايران، مؤسسة المعارف الاسلامية، الاولى، (١٤١٨ هـ- ١٩٩٨م):٢٤٠/١.

(٢٩) - سورة آل عمران: ١٠٤.

(٣٠) - وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: مُحمّد بنْ الحسن الحُرّ العاملي (١١٠٤هـ)، بيروت- لبنان، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التّراث، الثانية، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م):١١٦/١٦.

(٣١) - شرح التجريد: العلامة الحلي:١/ ٣٠٤.

(٣٢) - شرح التجريد: العلامة الحلي:٣٢٨.

(٣٣) - سورة الزلزلة:٧.

(٣٤) - يُنظر: دِرَاسَات في العَقيدَة الإسلاميَّة:٦٤/١-٦٦.

(٣٥) - تاريخ الأمم والملوك: محمّد بن جرير الطبري (ت٣١٠)، بيروت - لبنان، دار التراث، الثانية، (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م): ١٣٨/٩. ويُنظر: البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر - القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الأولى، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م): ٣١٤/١٤.

(٣٦) - التاريخ الاسلامي دروس وعبر: ٣٢٤/١.

قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم

١- أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم: جعفر السبحاني، قم - ايران، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، الاولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١م.

٢- اوائل المقالات فى المذاهب المختارات: محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت٤١٣هـ) ، إبراهيم الأنصاري ، بيروت - لبنان، دار المفيد، الثانية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٣- البدء والتاريخ: المطهر بن طاهر المقدسي (ت٥٠٧هـ) ، القاهرة- مصر، مكتبة الثقافة الدينية.

٤- البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر - القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٥- التاريخ الاسلامي دروس وعبر: محمد تقي المدرسي، قم - ايران، دار نشر المدرسي ،الخامسة، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م.

٦- تاريخ الأمم والملوك: محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، بيروت - لبنان ،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

٧- تاريخ الفلسفة في الإسلام: دي بور ، محمد عبد الهادي أبو ريده ،بيروت -لبنان ،النهضة.

٨- حوارات في الدين والعقيدة: جعفر مرتضى العاملي، بيروت ـ لبنان، المركز الإسلامي للدراسات، الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٩- دراسات في العقيدة الاسلامية: محمد جعفر شمس الدين، بيروت- لبنان، دار التعارف، الرابعة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م،.

١٠- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، أشرف بن عبد المقصود، الرياض- السعودية، مكتبة أضواء السلف، الاولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١١- الفصول المهمة في أصول الائمة: محمد بن الحسن الحر العاملي(ت١١٠٤هـ)، محمد بن محمد الحسين القائيني ،قم- ايران ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، الاولى ، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨م.

١٢- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (ت٧٢٦هـ) ، حسن زادة الاملى، السابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٨م.

١٣- الكليني والكافي: عبد الرسول عبد الحسن الغفار ، قم- ايران ،مؤسسة النشر الاسلامي ،الاولى ، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م.

١٤- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ)، دمشق- سوريا، ، مؤسسة الخافقين ، الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

١٥- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ميرزا حسين الطبرسي النوري (ت١٣٢٠هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الاولى،١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

١٦- المسند: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت٢٤١هـ)، شعيب الأرنؤوط ،مؤسسة الرسالة، الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

١٧- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد حكمي ، عمر بن محمود أبو عمر، الدمام- السعودية، دار ابن القيم، الأولى، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠م.

١٨- معالم المدرستين: مرتضى العسكري، بيروت - لبنان، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

١٩- الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، محمد سيد كيلاني، بيروت- لبنان، دار المعرفة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٢٠- المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عبد الرحمن عميرة ، بيروت- لبنان، دار الجيل ، الأولى،١٤١٧هـ- ١٩٩٧ م.

٢١- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: محمد الريشهري ،قم- ايران، مركز بحوث دار الحديث، الثاني، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٢٢- الميزان في تفسير القران: محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، حسين الاعلمي، بيروت - لبنان. منشورات مؤسسة الاعلمي، الاولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٣- نشوء المذاهب والفرق الكلامية: حسن الشاكري، قم- ايران ،ستارة،الاولى،١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢٤- نهاية الدراية في شرح الرسالة الموسومة بالوجيزة للبهائي: حسن الصدر(ت١٣٥٤ه)، ماجد الغرباوي، قم - ايران، اعتماد.

٢٥- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: مُحمّد بنْ الحسن الحُرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، بيروت- لبنان، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التّراث،الثانية،١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.